

عالم واحد مختلف  
التنوع اللغوي والثقافي والأحيائي على كوكب الأرض

© اليونسكو وتيرالينغوا والصندوق العالمي لصون الطبيعة

## تصدير

زادتنا العولمة وعيا بوحدة كوكبنا كما زادتنا إدراكا لتنوعه. فنمو مجتمع المعلومات يسمح بإقامة شبكة من الاتصالات على مستوى العالم لم نكن نحلم بها منذ عقد مضى، ولكنه يهدد أيضا بخطر التجانس الثقافي واللغوي. كما أن توسع الاقتصاد العالمي يشجع على الهجرة من المجتمعات الريفية الصغيرة إلى المراكز الحضرية الكبرى ومن بلد إلى آخر مما يزيد الالتباس في الهويات المتميزة للمجتمعات المحلية.

والترابط القائم بين التنوع اللغوي والثقافي والبيولوجي والمشار إليه في هذا الكتيب بعبارة التنوع البيولوجي الثقافي (أو البيوثقافي)، يؤكد أهمية إدراك الأجيال المقبلة كنه تلك الشبكة من العلاقات المركبة التي تنهض عليها التنمية المستدامة لعالمنا المعاصر. وذلك هو الإطار الذي ينبغي أن تؤدي فيه التربية دورا حاسما.

وعن طريق توفير تعليم يعرّف الناس بالعلاقات المتبادلة بين البيئات والثقافات واللغات، يمكننا أن نساهم في إعداد مواطنين فطنين لضرورة صون تراث البشرية في كل مجال. كما نستثير فيهم الفضول بشأن هويتنا، ومن نحن ومن أين جئنا، ونشجعهم على التناقش والتفكير في كيفية حماية تفرّدنا وإثرائه. فمستقبلنا - كما يوحي بذلك عنوان هذا الكتيب الذي تصدره اليونسكو بالتعاون مع تيرانغوا والصندوق العالمي لصون الطبيعة- إنما يرتهن بوجود رؤية مشتركة. ونحن اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى أن نتقاسم ونصون هذا العالم المتنوع حيث اللغات والثقافات والبيئات تساند بعضها بعضا وتعمل على إدامة بعضها بعضا.

جون دانييل

مساعد المدير العام للتربية

لغتنا تسكب الدمع مدرارا  
هجرها أبنائها  
تركوها وحيدة تنوء بحملها  
بات الناطق بها يعتبر متخلفا  
وإن كان أسرع من النسر تحليقا  
لساني هذا أستعمله لحاسة الذوق  
فهل يستطيع المرء أن يتذوق بلسان غيره؟

أبيات من شعر الولوف من نظم أسينو غي كوسان (السنغال)<sup>1</sup>

### تنوع الحياة، في الطبيعة وفي الثقافة

لا ريب أن أعجب خصائص الحياة على الأرض تتمثل في تنوعها الهائل. ويراد بهذا الكتيب التعريف بمفهوم **التنوع البيولوجي الثقافي**. فتنوع الحياة على الأرض لا يكمن فقط في تنوع أجناس النبات والحيوان والنظم الإيكولوجية في الطبيعة (**التنوع البيولوجي**) وإنما يكمن أيضا في تنوع الثقافات واللغات في المجتمعات البشرية (**التنوع الثقافي واللغوي**). ويبدأ الكتيب بوصف التنوع في العالم في شكله البيولوجي وفي شكله اللغوي والثقافي، وما يتهدد كلا منهما من أخطار. وينتقل بعد ذلك إلى بيان الروابط التي تجمع بين كل أشكال التنوع هذه. ثم يبين كيف أن الصلات التي تربط فيما بين اللغة والثقافة والبيئة توحى بضرورة دراسة التنوع البيولوجي والتنوع الثقافي واللغوي في إطار واحد باعتبارها مظاهر متميزة ولكنها مترابطة ترابطا وثيقا لتنوع الحياة على الأرض. وقد نحت مصطلح **التنوع البيوثقافي** (البيولوجي الثقافي) للتعبير عن هذا الحقل المعرفي الجديد (انظر الإطار 1).

### الإطار رقم 1

جرى تعريف المنظور البيوثقافي بالعبارات التالية:  
"التنوع الايكولوجي عنصر أساسي لبقاء الكوكب في المدى الطويل. وكل الكائنات، من نبات وحيوان وبكتيريا وبشر، تحيا وتزدهر من خلال شبكة من العلاقات المعقدة الهشة. وأي أذى يصيب أحد عناصر

<sup>1</sup> مقتبس من Fishman, Joshua A. (1977). In Praise of the Beloved Language: a comparative view of positive ethnolinguistic consciousness. Berlin: Mouton de Gruyter, p. 292.

النظام الإيكولوجي يؤدي إلى عواقب لا يمكن توقعها على النظام بأسره. والتنوع الجيني كان عاملاً مساعداً لعملية التطور وأنجب أنواعاً تتكيف وراثياً لبيئات مختلفة من أجل بقائها. وفي التنوع تكمن طاقات التكيف. أما التجانس ففيه تهديد للنوع لأنه يعني الجمود وعدم القدرة على التكيف. والتنوع اللغوي لا ينفصل عن التنوع البيولوجي. وموت اللغات والثقافات يحد من فرص الإخصاب المتبادل بين البشر ويقلل الشواهد على إنجازاتهم الثقافية.

وأقوى النظم الإيكولوجية، في لغة الإيكولوجيا، هي أكثرها تنوعاً. أي أن التنوع يرتبط مباشرة بالاستقرار؛ والتنوع مهم لطول البقاء. ويعزى نجاحنا في البقاء على هذا الكوكب إلى قدرتنا على التكيف لمختلف أنواع البيئات على مدى آلاف السنين (سواء البيئات المناخية أو الثقافية). وقدرتنا هذه إنما تتولد عن التنوع. فالتنوع اللغوي والثقافي يزيد إذن من فرص نجاح الإنسان ومن قدرته على التكيف".<sup>2</sup>

ويسعى هذا الحقل الجديد إلى دراسة طبيعة الصلات بين مختلف أشكال التنوع على شتى المستويات، ابتداءً من المستوى المحلي وحتى المستوى العالمي. كما يسعى إلى تحديد الأخطار التي تهدد التنوع البيولوجي، وعواقبها المنظورة، والتدابير الواجب اتخاذها لتدارك هذه الأخطار والمساعدة على استعادة الحياة تنوعها وعلى حماية هذا التنوع وتعزيزه. وقد جرى إيضاح العلاقات البيوثقافية بمساعدة خريطة تجمع بين أشكال التنوع المذكورة. وأعد الكتيب والخريطة بالتعاون بين اليونسكو وتيرالينغوا والصندوق العالمي لصون الطبيعة.

### التنوع البيولوجي

يمكن القول بأن تاريخ العالم الطبيعي هو تاريخ تكاثر أنواع الكائنات الحية على مر الزمن. وقد حدد علماء الطبيعة عدد الأنواع المعروفة حتى الآن بنحو 1.5 مليون نوع: النبات (شجر ودغل وعشب ..) والحيوان (طيور وثدييات وأسماك وبرمائيات وزواحف ورخويات وديدان وحشرات ...) والفطور والطحالب والبكتيريات والفيروسات. وهذا الرقم ضئيل إذا ما قورن بالعدد الإجمالي للأنواع التي يفترض العلماء أنها موجودة على الأرض. ويعتقد العلماء أن عدد الأنواع التي تعيش اليوم على الأرض قد يتراوح بين 5 و 15 مليوناً ويقدر "العدد العملي" بنحو 12.5 مليون.

Baker, Colin (2001). Book Review of Tove Skutnabb-Kangas. *Linguistic Genocide in Education- or* <sup>2</sup>  
*Worldwide Diversity and Human Rights?* London: Erlbaum. 2000. xxxiii+785 pp. *Journal of*  
*Sociolinguistics*, 5 :2, May 2001, 279-283.

وتختلف التقديرات إلى حد كبير نظرا لصعوبة حساب عدد الأنواع التي لا تزال لم "تكتشف"، أي لم يعطها الباحثون بعد اسما ووصفا. وتشير الأدلة العلمية إلى أن معظم التنوع الطبيعي يتركز في المناطق المدارية (انظر الإطار رقم 2) بيد أن دراسة هذه المناطق لا تزال محدودة. وتتحفنا البحوث باستمرار بمعلومات جديدة مذهشة عن ثراء العالم الطبيعي.

## الإطار رقم 2

ثمة مثالان معبران عن وفرة التنوع البيولوجي: فعدد الأنواع المختلفة من النمل التي عثر عليها في شجرة واحدة من غابة الأمازون يوازي عدد الأنواع المعروفة من النمل في الجزر البريطانية بأجمعها. كما تبين من تقدير أجري لحجم الكتلة الحيوية في مساحة أكر واحد من إحدى الغابات الحارة المعتدلة أنها تحتوي على نحو 50 000 من الفقاريات (ثدييات وطيور وزواحف وبرمائيات)، و662 000 نملة، و372 000 من العناكب، و90 000 دودة أرض، و45 000 أرضة، و19 000 من الحلزون، و98 مليون عثة، و28 مليون حشرة من رتبة الكهدليات (collembola، حشرات بدائية حلزونية الذيل) ونحو 5000 باوند (= 2.268 كيلوغرام) من الحياة النباتية الموزعة على 2000 نوع – ويوجد من أنواع النبات في أكر واحد من غابة معتدلة ما يزيد على أنواعها في بريطانيا بأسرها.<sup>3</sup>

إذا نظرنا إلى الخريطة (والجدول 3 أدناه)، أمكننا تمييز الحيوانات الثلاثة الأولى في القائمة (انظر تعريف الحيوم في معجم المصطلحات) والغابات المدارية أو دون المدارية بشتى أنواعها، وتظهر كلها بدرجات مختلفة من اللون الرمادي، كما تم تمييز الحيوم السابع باللون الأصفر، وهو الحيوم الذي يشمل المروج المدارية ودون المدارية والسافانا ومناطق الجنبات، وأعلى درجة من التنوع نجدها في الغابات المدارية (مثل الغابات المطيرة لحوض نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية، وحوض الكونغو في أفريقيا الوسطى، وأنحاء كثيرة من جنوب آسيا والمحيط الهادي)، وكذلك في بعض البيئات البحرية والساحلية (مثل الشعاب المرجانية ومواطن نبات الشورى (المنغروف)).

ولكن يوجد مع ذلك تنوع مذهش في أصناف النبات والحيوان في بيئات من كل نوع. منها التوندرا (وهي السهول القطبية الخالية من الأشجار)

<sup>3</sup> مستمد من or worldwide –Skutnabb-Kangas, Tove (2000). **Linguistic genocide in education diversity and human rights?** Mahwah, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates, p. 80.

والصحارى (الحيومان 11 و 13 على الخريطة)، حيث نجد الكثير من أنواع النبات والحيوان النادرة أو الـ "مستوطنة" (أي التي لا توجد إلا في منطقة معينة).

وهذه الوفرة من التنوع في العالم الطبيعي تسمى **التنوع البيولوجي**، وهو مصطلح فني يحيل إلى مجموع الكائنات الحية المختلفة الموجودة على الأرض. والتنوع هو الشرط الأساسي للعالم الطبيعي. ويقول لنا البيولوجيون أن التنوع هو الذي يعطي البيئات الطبيعية مرونتها، أي قدرتها على التكيف للتغيير، ونجاحها في تحمل اختلاف المناخ والكوارث الطبيعية وانتشار الأوبئة وغير ذلك من الظروف المدمرة (الإطار 1).

فتتمية التنوع البيولوجي شرط أساسي لصحة **النظم الإيكولوجية** (وهي النظم المكونة من تفاعلات الكائنات الحية مع بيئتها) ولقدرتها على تقديم خدماتها الحيوية. و"خدمات النظم الإيكولوجية" هذه تشمل تدوير مغذيات التربة، وتنقية الهواء، وتوفير الماء العذب والمواد البيولوجية اللازمة للغذاء، والوقود. والحياة بكل أنواعها تعتمد على هذه الخدمات، بما في ذلك حياة البشر.

### التنوع البيولوجي في خطر

نعم، إن التنوع البيولوجي، كما يعلم الجميع، معرض حقا لخطر عظيم. فالبيولوجيون يتحدثون عن "أزمة اندثار أنواع" هائلة، أي اندثار أنواع نباتية وحيوانية في كل أنحاء العالم وانقراض بيئاتها (البيئات الطبيعية لهذه الأنواع). ويمكن الحصول على معلومات إضافية في "القوائم الحمراء" للأنواع المهددة (الجدول 1) وهي قائمة يتولى تنسيقها المركز العالمي لرصد صون البيئة.

#### الجدول 1. القوائم الحمراء للحيوانات والنباتات المهددة بالاندثار

فيما يلي المواقع الشبكية للقوائم الحمراء للنباتات والحيوانات المهددة بالاندثار

<http://www.rbge.org.uk/data/wcmc/plants.by.taxon.html>

[http://www.wcmc.org.uk/species/plant/plant\\_redlist.html](http://www.wcmc.org.uk/species/plant/plant_redlist.html)

<http://www.wcmc.org.uk/species/animals/>

ويقوم بتنسيق هذه القائمة المركز العالمي لرصد صون البيئة، وعنوانه

ويتفق العلماء على أن أزمة اندثار الأنواع تكاد تعزى حصرا إلى النشاط البشري. وأهم مسببين لذلك هما:

• تدمير موطن الأنواع المعنية: عندما نزيل الغابات لتحويلها إلى مناطق زراعية، فإننا لا نغير فقط طريقة استخدام الأرض وإنما ندمر موطن النباتات والحيوانات التي تحتاج إلى بيئة حراجية لتأمين بقائها. وبالنظر أيضاً إلى تحويل مساحات متزايدة من الكوكب الأرضي إلى دروب ضيقة لاستخدامات البشر (بما في ذلك لحاجات النقل والبنى الأساسية اللازمة للنقل) فإن الكثير من الأنواع المتخصصة تدفع إلى الانقراض. ومن أهم الأمثلة على ذلك تدمير الغابات الرطبة في الأمازون وأفريقيا الوسطى وجنوب شرقي آسيا.

• اجتياح أنواع غريبة لا تمت إلى المنطقة التي تنتشر فيها. ثمة أنواع معينة قادرة على أن تغزو بعنف مواطن جديدة فتهيمن على الأنواع الأهلية المحلية أو تطردها. واجتياح الأنواع الأجنبية يوقع أضرارا فادحة في الجزر النائية (مثل هاواي وغوام) ولكن يمكن أيضا أن يؤثر تأثيرا بالغا على الكتل القارية الكبرى كما حصل في أستراليا. فالتعالب والماعز والأرانب والجرذان، أو الهندياء البرية والقراص والبرسيم والرجلة والشوك وأذان الجدي، كلها أمثلة للأنواع التي انتشرت على نطاق واسع مدمرة بالمقابل نظما إيكولوجية كاملة في بقاع مختلفة من العالم في ما سمي "الامبريالية الأيكولوجية" (ألفريد و. كروسبي)<sup>4</sup>.

فهذه وغيرها من الأنشطة البشرية الواسعة النطاق قد أثرت تأثيرا بالغا على مرونة النظم الإيكولوجية. وأحدثت تغييرات هائلة بحيث أصبحت النظم الإيكولوجية تفقد قدرتها على التكيف وتصاب بتدهور مستديم. ومن الأمثلة الساطعة على ذلك عملية التصحر في بعض أنحاء أفريقيا، وكذلك الانقراض الفعلي للحياة النباتية والحيوانية في بعض الأحواض المائية مثل بحر آرال في آسيا.

Crosby, Alfred W. (1994). *Ecological imperialism. The biological expansion of Europe, 900- 1900*. Cambridge: Cambridge University Press.

### الإطار رقم 3

لخص عالم الأحياء أ.أ. ويلسن الأزمة على النحو التالي: " إذا استمر الاتجاه الحالي، فسيؤدي بالنتيجة إلى إفقار دائم لا رجعة فيه للأنواع. وسوف نخسر بالمعدل الراهن نصف الأنواع النباتية والحيوانية الموجودة على الأرض في نهاية القرن... وكل نوع هو بحد ذاته تحفة رائعة أنتجها التطور ويعجز البشر عن إنتاج مثيل لها حتى إذا كان في مقدورنا إلى حد ما أن نوجد كائنات جديدة بواسطة الهندسة الوراثية. كما أن اندثار الأنواع بشكل مكثف يمكن أن يؤدي إلى زعزعة استقرار البيئة العالمية. فضلا عن أننا سنفقد مكتبات حية تدخر معلومات وراثية يمكن أن تعود بنفع هائل على البشرية في المستقبل."<sup>5</sup>

تكتفت خلال العقود القليلة الماضية جهود صون البيئة في العالم أجمع في مواجهة هذه الأزمة. ودرس البيولوجيون المبادئ التي يمكن على أساسها تحديد المجالات التي ينبغي أن تحظى بالأولوية في خطط الصون.

فحدد أولا 17 بلدا اعتبرت من البلدان "العظيمة التنوع"، أي البلدان التي يظن أنها تحتوي على أعلى نسبة من الثراء العالمي في مجال الأنواع الحية (الجدول 2). وجل هذه البلدان قريبة إلى حد ما من خط الاستواء حيث تتركز الغابات المطيرة الغنية بالتنوع البيولوجي. ولا تندرج في هذه القائمة بلدان الشمال أو البلدان القاحلة نظراً لأن التوندرا والصحارى، كما أسلفنا، ليست غنية جدا بالتنوع البيولوجي وإن كانت عادة غنية بالأنواع النادرة والمستوطنة.<sup>6</sup>

#### الجدول 2- البلدان "العظيمة التنوع" البيولوجي

**أفريقيا:** جمهورية الكونغو الديمقراطية، مدغشقر، جنوب أفريقيا  
**القارة الأمريكية:** البرازيل، كولومبيا، إكوادور، المكسيك، بيرو، الولايات المتحدة الأمريكية، فنزويلا  
**آسيا:** الصين، الهند، أندونيسيا، ماليزيا، الفلبين  
**المحيط الهادي:** أستراليا، بابوا غينيا الجديدة

<sup>5</sup> مقابلة، يناير/كانون الثاني 2002، على <http://www.salon.com/people/conv/2002/01/14/eowilson/>  
<sup>6</sup> ابحث على العنوان الشبكي <http://www.conservation.org/xp/CIWEB/publications/videos/index.xml> للاطلاع على شريط فيديو تعليمي بشأن البلدان العظيمة التنوع.



وميز البيولوجيون ثانيا 25 بؤرة للتنوع البيولوجي، وهي مناطق صغيرة نسبيا (أكثرها في المدارين) تتركز فيها بشكل مكثف الأنواع النادرة والمستوطنة. وفيما يلي بعض الأمثلة:

- منطقة غابات الأطلسي في أمريكا الجنوبية حيث انحسر الغطاء الحراجي إلى أقل من عشر مساحته الأصلية (وكانت تعادل ثلاثة أمثال مساحة ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية)، مما هدد بقاء عدد كبير من أنواع القرود (الرئيسات) والطيور؛

- منطقة كيب فلوريستيك الممتدة على طول الساحل الغربي لجنوب أفريقيا حيث تتعرض مجموعتها الفريدة من الأنواع المستوطنة لخطر التوسع الزراعي وغزو أنواع غريبة عن المنطقة (غير محلية)؛

- المنطقة التي تشمل جبال الغاتس الغربية بالهند وجزيرة سري لانكا، حيث تعيش أعداد كبيرة من الزواحف المستوطنة ومختلف أنواع الثدييات، وحيث الخطر الأكبر يأتي من الضغط السكاني.<sup>7</sup>

وثمة طريقة ثالثة لدراسة التنوع البيولوجي اعتمدها الصندوق العالمي لصون الطبيعة وهي التي تركز على **المناطق الإيكولوجية**. وهي مناطق واسعة نسبيا من الأراضي أو المياه تتميز بوجود شراكات خاصة بين الأنواع النباتية والحيوانية والمجتمعات الطبيعية والظروف البيئية. وحدد الصندوق العالمي لصون الطبيعة ما مجموعه 866 منطقة إيكولوجية أرضية ( ولا تزال المناطق الإيكولوجية البحرية وتلك الخاصة بالمياه العذبة قيد الدراسة). ويعتقد الصندوق أنه يوجد ما يزيد على 200 منطقة إيكولوجية عالمية تحتاج إلى صون عاجل لأنها ذات خصائص متميزة وتمثل نماذج من مواطن العالم.<sup>8</sup>

وتوضح الخريطة المرفقة جميع المناطق الإيكولوجية الأرضية في العالم، موزعة بحسب "الحيومات" و"أنماط المواطن الرئيسية". والحيوم هو عبارة عن مساحة إما مائية (مياه عذبة أو بحرية) أو أرضية (صحراء، غابة، مروج، توندرا) تحتوي على مجتمع حيوي متميز من النباتات والحيوانات وغيرها من الكائنات الحية<sup>9</sup>. وبتصنيف الحيومات وفقا لخصائصها المختلفة نحصل على عدة أنماط من المواطن الرئيسية لكل

<sup>7</sup> يمكنك معرفة المزيد عن هذه البؤر من العنوان الشبكي

<http://www.conservation.org/xp/CIWEB/strategies/hotspots/hotspots.xml>

<sup>8</sup> يمكن الاطلاع على موقع شبكي مخصص للمناطق الإيكولوجية بالاتصال بـ:

<http://www.worldwildlife.org/wildworld> أو <http://www.nationalgeographic.com/wildworld>

<sup>9</sup> راجع <http://www.ucmp.berkeley.edu/glossary/gloss5/biome/> للحصول على معلومات إضافية عن الحيومات.

حيوم. وتميز الخريطة بألوان مختلفة 14 نمطا من المواطن الأرضية/الحيومات (بالإضافة إلى البحيرات والمناطق الصخرية والجليدية في القطبين). ولا تظهر في الخريطة المناطق الإيكولوجية المائية نظرا لأنها تتراكم في معظمها مع المناطق الإيكولوجية الأرضية؛ كما لا تظهر فيها المناطق الإيكولوجية البحرية لأن الخريطة تركز على المناطق المأهولة بالبشر وهي مناطق أرضية. ويتضمن الجدول 3 قائمة بأنماط المواطن/الحيومات الـ 14 هذه التي يمكن رؤية كيفية توزيعها على الخارطة<sup>10</sup>.

### الجدول 3. أنماط المواطن الأرضية/الحيومات في العالم

1. الغابات الرطبة المدارية وشبه المدارية العريضة الأوراق
2. الغابات الجافة المدارية وشبه المدارية العريضة الأوراق
3. الغابات الصنوبرية المدارية وشبه المدارية
4. الغابات المعتدلة العريضة الأوراق والمختلطة
5. الغابات الصنوبرية المعتدلة
6. الغابات الشمالية/التايغا
7. المروج والسافانا ومناطق الجنبات المدارية وشبه المدارية
8. المروج والسافانا المعتدلة
9. المروج والسافانا المغمورة بالمياه
10. المروج ومناطق الجنبات الجبلية
11. التوندرا
12. الغابات والأحراج ومناطق الأشجار الخفيفة المتوسطة
13. الصحارى ومناطق الجنبات الجافة
14. المنغروف

كما صنف الصندوق العالمي لصون الطبيعة المناطق الإيكولوجية وفقا لحالة صونها الراهنة (أي مدى سلامة كل منطقة إيكولوجية في الوقت الراهن) ومستوى الخطر الذي يتهددها بفعل الإنسان، حتى يتسنى التنبؤ بمستقبلها - أي بعبارة أخرى ما هي المناطق الإيكولوجية المعرضة "لدرجة عالية من الخطر" وبالتالي هي بأمس الحاجة إلى حماية عاجلة. وجرى تمييز المناطق "المعرضة لدرجة عالية من الخطر" بلون أرجواني

<sup>10</sup> يمكن الحصول على معلومات إضافية عن أنماط المواطن الرئيسية على الموقع التالي:  
<http://www.panda.org/resources/programmes/global200/terra.htm>

في الخريطة المرفقة. ويلاحظ أن الكثير من هذه المناطق توجد في المناطق المدارية وشبه المدارية في القارة الأمريكية وأفريقيا وآسيا والمحيط الهادي، حيث تعرضت الغابات لدمار عظيم. ولكن يمكن العثور على بيئات معرضة لدرجة عالية من الخطر أيضا في الشمال، في أمريكا الشمالية وأوروبا، حيث أدى النشاط الزراعي الواسع النطاق والتوسع الحضري إلى استقطاع ضريبة عالية من البيئة على مدى فترة طويلة من الزمن.

### التنوع الثقافي واللغوي

ولكن التنوع ليس من خصائص العالم الطبيعي وحده. ففكرة "تنوع الحياة" تتجاوز مجرد التنوع البيولوجي لتشمل التنوع الثقافي واللغوي الموجود في المجتمعات البشرية. وتاريخ الجنس البشري هو جزء من تاريخ الحياة على الأرض منذ أن ظهر أول نوع من جنسنا الإنساني، وهو الإنسان الماهر *homo habilis* في إفريقيا قبل نحو 2.5 مليون سنة. وتاريخنا كبشر يتميز أيضا بتنوع متزايد صاحب تكيف البشر لبيئات جديدة ومناخات جديدة. ولكن على الرغم من التغيرات الوراثية في الجنس البشري، تظل هذه الاختلافات الوراثية سطحية ويظل البشر بيولوجيا ينتمون إلى نفس النوع الواحد.

### التماثل والاختلاف

غير أن المجتمعات البشرية شهدت على مر الزمن تغييرا كبيرا في أوجه سلوكها الثقافي واللغوي: طرائق مختلفة في معرفة العالم المحيط والتكيف معه، وأنماط مختلفة في التنظيم الاجتماعي، ومجموعات مختلفة من المعتقدات والقيم والممارسات، وطرائق مختلفة في التواصل فيما بينهم في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى اختلاف في الطقوس والسياسات والموروث الشفهي ونقل الروايات والغناء وفي كل المواقف التي نعبر فيها عن أنفسنا من خلال اللغة.

ويمكن النظر إلى **التنوع الثقافي واللغوي** باعتباره جملة "الثروة الثقافية واللغوية" للجنس البشري. ومن زاوية التاريخ كان التميز الثقافي واللغوي القاعدة التي حددت المجتمعات الإنسانية على أساسها هويتها الذاتية: فنحن نعرّف أنفسنا كناطقين بلغات معينة ومؤمنين بأديان معينة وبأعرافنا وقيمنا ورؤانا للعالم وهي كلها أمور بديهية في نظرنا. وبالاستناد إلى هذه الخصائص المميزة المشابهة/المختلفة ذاتها نظمت المجتمعات علاقاتها مع المجتمعات الأخرى. فالناطقون بلغة واحدة والمؤمنون بمعتقدات واحدة يعتبرون أنفسهم أعضاء في جسم واحد هو "نحن"، بينما "الآخرون" هم

أولئك الذين ينطقون بلغات أخرى ولديهم تقاليد ومعتقدات مختلفة. وهؤلاء "الأخرون" إما ينظر إليهم نظرة حياد كـ "غرباء"، أو نظرة أكثر سلبية تناظر ما كان يسمى في العهود القديمة "البرابرة"، أو نظرة إيجابية فعلا فيرحب بهم كـ "أجانب" يجلبون معهم علما جديدا وثراء جديدا.

فالمعارف والتقاليد والمعتقدات تختلف إذن لأسباب اجتماعية. ولكنها ترتب أيضا بالظروف البيئية المعينة التي تكيف لها الناس – ماذا يأكلون وكيف يحفظون الطعام وما هي ايقاعات عملهم ( وفقا لاختلاف أوقات الضوء والبرد والحر والصيف والشتاء والفصل المطير أو الجاف)، الخ. – وهذه كلها أمور ترتب بالمكان الذي نعيش فيه.

وتوجد اختلافات ثقافية كبيرة بين المجتمعات البشرية. ولكن هناك بعض الثوابت المشتركة للبشر جميعا تجعلهم كلهم، بالرغم من اختلافهم في المعتقدات والطقوس، يعتقدون بوجود قوى خارجية غير مرئية تؤثر عليهم وتوجه حياتهم، ولديهم جميعا طقوس للاحتفال بالانتقال عبر مراحل الحياة كالولادة والبلوغ والمخاض والموت وما إلى ذلك.

وينسحب ذلك أيضا على اللغات: فلدينا جميعا ما يجمعنا وما يفرق بيننا. واللغات جميعها لديها "أبنات" أساسية متشابهة: فكل اللغات المحكية هي عبارة عن أصوات، وكلمات، ونحو، وتعبير. ولكن ثمة اختلافات كبيرة في كيفية قولنا للأشياء وكيفية استخدام هذه اللغات اللغوية. فعدد الحالات في اللغة مثلا تتراوح بين حالتين (كما في اللغة الانجليزية : حالة الرفع والإضافة: الفئات ولفئات) و 14 إلى 16 حالة (مثل في الكثير من اللغات الفنلندية الأخرية)، وحتى 126 حالة مختلفة كما في لغة التسر في داغستان. فما نقوله إذن يتلاءم مع بيئتنا البيولوجية والاجتماعية؛ فنحن نتحدث عما يهمنا. وطورت اللغات المختلفة مفردات متميزة للتعبير عن الاختلافات التي يعتبرها الناطقون بها هامة بالنسبة لهم. فلا يتوقع المرء أن يجد في اللغات المحكية في الصحراء عشرات الكلمات للتعبير عن أنواع الثلج المختلفة أو أنواع حيوانات الرنة المختلفة كما لا يتوقع أن يوجد في لغات أقصى الشمال عشرات المفردات للتعبير عن مختلف أصناف الرمال والجمال. ومن هذا المنطلق سميت اللغات "دنا الثقافات" (الحامض الصبغي النووي DNA للثقافات) – فهي تحتوي شفرة المعارف الثقافية التي ورثتها الشعوب عن أسلافها، ويضيف كل جيل نصيبه في هذا التراث. ويستطيع ساكن المدارين بطبيعة الحال أن يصف نوعا معيناً من الرنة بلغته ولكنه يحتاج على الأرجح إلى وصفه بعبارات مسهبة بدلا من استعمال مفردة واحدة.

ولا نعلم الكثير حتى الآن عن مختلف لغات الإشارة (وهي اللغات التي يستعملها الصم في الغالب) بل ولا نعلم الكثير عن مقدار الاختلاف في اللبنة المكونة لهذه اللغات المختلفة أو مدى اختلافها عن اللغات المنطوقة (انظر الإطار رقم 4).

#### الإطار رقم 4

إن معظم لغات الإشارة لم يصفها اللغويون بعد. ولغات الإشارة هي لغات كاملة مجردة ومركبة. وأولئك الذين وفقهم الحظ للتعمق في معرفة مفرداتها يمكنهم أن يناقشوا بها أي موضوع يناقش باللغات الصوتية بدءاً من أمور الحياة اليومية وحتى اتفاقيات حقوق الإنسان أو بنية منظمة الأمم المتحدة أو الفيزياء الخلية<sup>11</sup> والتنوع اللغوي هو بصفة عامة أغزر بكثير من الاختلاف البيولوجي بين البشر. ومعظم هذا التنوع يصعب تفسيره. واللغات هي حقا كنز من المعلومات يمكن أن يعلمنا كيف يستطيع البشر التواصل في إطار المجتمع اللغوي نفسه أو فيما بين مجتمعات ذات لغات (وثقافات) مختلفة.

#### اللغات والناطقون بها

إن العدد التقديري للثقافات واللغات الموجودة على سطح البسيطة يقل بكثير عن عدد الأنواع الحية المعروفة ولكنه مع ذلك عدد هائل يفوق تصورات الكثير من الناس. وهنا أيضا تختلف الأرقام تبعاً للتعريف الدقيق للمقصود بمفردة "اللغة". فلا يوجد معيار دقيق في علم اللغة لتحديد ما هي اللغة المستقلة القائمة بذاتها وما هي اللهجة المتولدة عن لغة أخرى. ففي حين يمكن أن يكون التفاهم معياراً للتمييز بين اللغات واللهجات في بعض الحالات، فقد يكون للغة الواحدة لهجات كثيرة، كلهجات اللغة الإنجليزية أو الصينية مثلاً، لا يفهم ناطقوها جيداً أحدهم الآخر، وربما لا يفهمون إطلاقاً. كما يمكن أن يوجد تماثل أو اختلاف من الناحية البنيوية بين لغات متباعدة جداً، كما هو الحال مثلاً بين اللغات الهندو-أوروبية (مثل الروسية والهندية والإيطالية والإنجليزية والألمانية) ولغات البانتو (مثل الزولو أو الهوسا). ولكن ذلك لا يبين لنا ما إذا كانت اللغتان الإسبانية والإيطالية، المتشابهتان من حيث البنية، هما لغتين مستقلتين أم لهجتين للغة واحدة (اللاتينية في هذه الحالة). بيد أن التمييز بين اللغة واللهجة هو في نهاية

<sup>11</sup> انظر موقع الويب الخاص بالاتحاد الأوروبي للصم (<http://www.eudnnet.org>) والاتحاد العالمي للصم (<http://www.wfdnews.org>)

المطاف أمر سياسي في الغالب، إذ أن القرار المتعلق بمكانة لهجة ما كثيرا ما يكون بيد نخبة الناطقين بها والذين يرفعونها إلى مصاف اللغة. وهذه الصعوبة في تعريف اللغة هي من ضمن الأسباب الكامنة وراء عدم قدرتنا على تحديد عدد اللغات الموجودة في العالم. ومن الصعوبات الأخرى التي تواجهنا في هذا المضمار هو أن عددا كبيرا من اللغات لم يصفها اللغويين بعد. ويقدر عدد اللغات المختلفة المنطوقة بما يتراوح بين 5000 و7000، بل قد يصل إلى 10000 لغة. وربما يوجد عدد مماثل من لغات الإشارة. ولا أحد يعلم عددها بالضبط لأن الدراسات بشأنها لا تزال قليلة ولأن كل بلد لا يعترف إلا بلغة إشارة واحدة فقط، هذا إذا اعترف بأي لغة إشارة على الإطلاق. ومعظم لغات العالم (سواء اللغات المنطوقة أو لغات الإشارة) يستخدمها عدد قليل جدا من الناس (الإطار رقم 5).

### الإطار رقم 5

معلومات أساسية بشأن اللغات:

- يوجد في العالم من 6 إلى 7 آلاف لغة، وربما عدد مماثل من لغات الإشارة
- والعدد المتوسط للناطقين بكل لغة يتراوح بين 5 و 6 آلاف شخص
- وأكثر من 95 % من اللغات المنطوقة في العالم يقل عدد الناطقين بها عن مليون شخص
- ونحو 5000 لغة منطوقة يتكلم بها أقل من 100000 شخص
- وأكثر من 3000 لغة منطوقة يتكلم بها أقل من 10000 شخص
- وزهاء 1500 لغة منطوقة وأكثر لغات الإشارة يتكلم بها أقل من 1000 شخص
- ونحو 500 لغة كان يتكلم بها في عام 1999 أقل من 100 شخص
- ونسبة 83 أو 84 % من لغات العالم المنطوقة هي لغات مستوطنة: أي تستخدم في بلد واحد فقط.

وجاء في الفهرس *Ethnologue*، وهو الفهرس الأوسع انتشارا للغات العالم<sup>12</sup>، أن عدد اللغات في عام 2000 كان 6809 لغات في 228 بلدا، أكثرها لغات منطوقة (منها 114 لغة إشارة). وتظهر هذه اللغات على الخريطة المرفقة في شكل نقاط وضعت في المكان التقريبي الذي يتركز فيه الناطقون بكل منها وفقا للفهرس المذكور. واستخدام اللغات بطبيعة الحال لا ينحصر في إقليم واحد ولكن يصعب جدا تحديد التوزيع الجغرافي الدقيق لكل لغات العالم في خريطة واحدة. كما أن التوزيع الجغرافي لكثير من اللغات إما

<sup>12</sup> <http://www.sil.org/ethnologue>

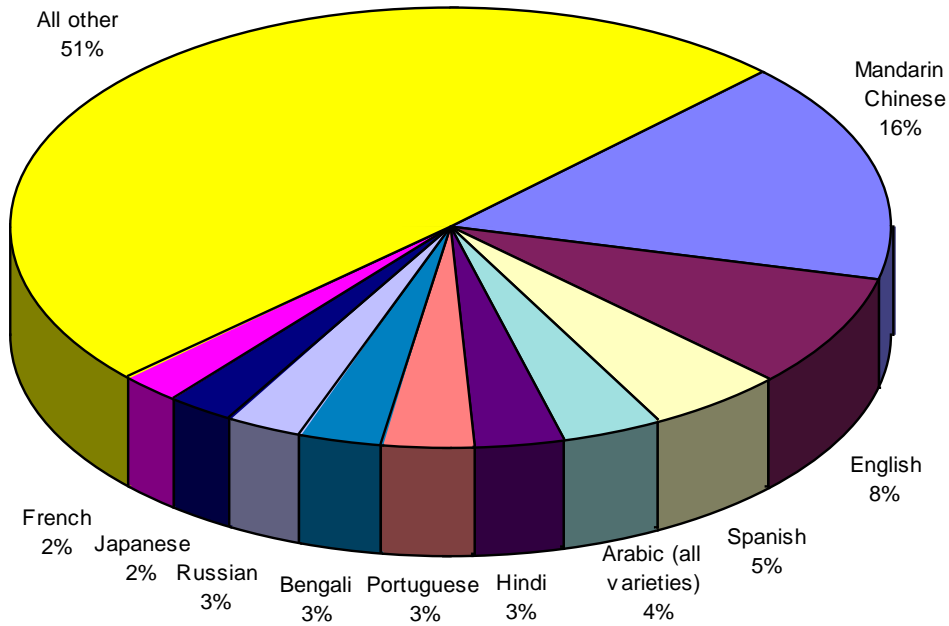
غير معروف بدقة أو متنازع في أمره. وفي حين أن أكثر اللغات هي لغات **مستوطنة** (أي ينطق بها في مكان واحد)، فإن معظم اللغات الأوسع انتشاراً من حيث عدد الناطقين بها تستخدم في أكثر من مكان لأنها انتشرت فيما وراء حدود منشئها بسبب الاستعمار أو الهجرة. بل إن الكثير من اللغات المستوطنة يمكن أن يكون توزيعها غير منتظم. ولذلك فإن هذه الخريطة تعطي معلومات تقريبية وليست دقيقة كل الدقة. فهي عبارة عن وسيلة إيضاحية لبيان النماذج العامة لتوزيع اللغات في العالم. ومما تجدر ملاحظته أن أقل من 300 لغة من هذا العدد الكبير من اللغات المنطوقة في كل أنحاء العالم يتجاوز عدد الناطقين بها المليون شخص. فهذه "اللغات الكبرى" يتكلم بها أكثر من 95% من سكان العالم البالغ عددهم 6.1 مليار. واللغات العشر الأكثر استعمالاً في عام 2001 هي الصينية والهندية والاسبانية والانجليزية والبنغالية والبرتغالية والعربية والروسية واليابانية والألمانية. وهي تمثل أقل من 1% من مجموع اللغات ولكنها تشمل في الواقع نصف سكان العالم (انظر الجدول 4<sup>13</sup> والشكل 1).

#### الجدول 4- اللغات العشر الأولى من حيث عدد الناطقين بها كلغة أم

المرتبة	اللغة	الناطقون بها كلغة أم بالملايين
1	الصينية المندرائية	874
2	الهندية	366
3	الاسبانية	358
4	الانجليزية	341
5	البنغالية	207
6	البرتغالية	176
7	العربية	175
8	الروسية	167
9	اليابانية	125
10	الألمانية	100

#### الشكل 1- اللغات الأم الأكثر استخداماً: بالنسبة المئوية من سكان العالم<sup>14</sup>

<sup>13</sup> وهي تقديرات تيرالينغوا لعام 2002، التي اعتمدت أساساً على فهرس *Ethnologue*، الطبعة الرابعة عشرة.  
<sup>14</sup> Harmon, David (1995). أوضاع لغات العالم كما جاء بيانها في *Ethnologue. Southwest Journal of Linguistics* 14 :1-33.



بيانات الشكل (توضع بالعربية عليه)

الصينية المندرانية 16%

الانجليزية 8%

الاسبانية 5%

العربية (بكل تنويعاتها) 4%

الهندية 3%

البرتغالية 3%

البنغالية 3%

الروسية 3%

اليابانية 2%

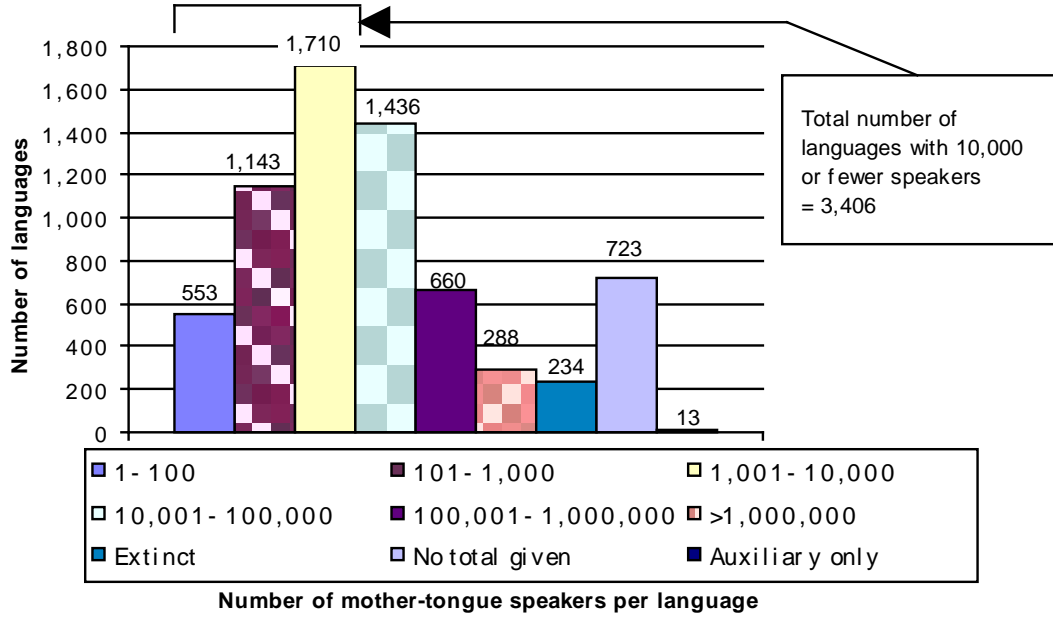
الفرنسية 2%

جميع اللغات الأخرى 51%

ونجد من جهة أخرى أن أكثر بقليل من نصف لغات العالم تنطقها مجتمعات لا يتجاوز عدد أفرادها 10000 نسمة. وبصفة عامة، تمثل اللغات التي يصل عدد الناطقين بها إلى 10000 شخص نحو 8 ملايين نسمة، أي نحو 0.13% من سكان العالم (الشكل 2).



الشكل 2- التصنيف الكمي للغات العالم بحسب عدد الناطقين بها كلغة أم –  
المجاميع العددية (ع = 6.760)<sup>15</sup>



عدد اللغات

عدد اللغات التي لا يتجاوز عدد الناطقين بها 10 000 نسمة = 3406 لغة

من 1 إلى 100	من 101 إلى 1000	من 10000 إلى 100000
من 10001 إلى 100000	من 100001 إلى 1000000	من 1000001 إلى 10000000
منقرضة فقط	المجموع غير متوافر	لغة مساعدة

ويتضح من هذا الجدول أنه في حين أن تسعة من عشرة أشخاص في العالم هم من الناطقين بلغة واحدة أو أكثر من ضمن زهاء 300 لغة فقط، فإن

Harmon, David (1995). The status of the world's languages as reported in *Ethnologue*. *Southwest Journal of Linguistics* 14: 1-33<sup>15</sup>

النصيب الأعظم من التنوع اللغوي نجده في المجتمعات الصغيرة. وأكثر هذه المجتمعات هي من السكان الأصليين أو الأقليات المستمرين في استعمال لغات أجدادهم. وتلك هي اللغات التي كانت ولا تزال مهددة بالاندثار نتيجة لتعاظم ضغط الاستيعاب.

وهذا التفاوت نجده أيضاً في التوزيع الجغرافي للغات العالم. ففي المقام الأول لا تتوزع اللغات توزيعاً متوازناً بحسب القارات: فنسبة 33% من لغات العالم موجودة في آسيا، و30% في أفريقيا، و19% في منطقة المحيط الهادي، و15% في القارة الأمريكية و3% فقط في أوروبا (انظر الجدول 5 الذي يعتمد على فهرس Ethnologue، الطبعة الرابعة عشرة)

#### الجدول 5- التوزيع الجغرافي للغات

المنطقة	عدد اللغات	النسبة المئوية من المجموع
أوروبا	230	3%
أمريكا (الشمالية والوسطى والجنوبية)	1013	15%
أفريقيا	2058	30%
آسيا	2197	33%
المحيط الهادي	1311	19%

وفي المقام الثاني، فكما توجد بؤر للتنوع البيولوجي، كذلك توجد بؤر للتنوع اللغوي: وهي مناطق توجد فيها كثافة عالية من اللغات المختلفة، والكثير من هذه اللغات لغات مستوطنة للمناطق أو البلدان المعنية. والرقم القياسي في التنوع اللغوي يعود لجزيرة غينيا الجديدة في المحيط الهادي التي تشمل دولة بابوا غينيا الجديدة وإقليم بابوا التابع لأندونيسيا (إيربان جايا سابقاً): فيوجد فيها أكثر من 1000 لغة منتشرة في مساحة تناهز 000 885 كم<sup>2</sup> (أقل بقليل من مساحة فرنسا وألمانيا مجتمعين)، عدد سكانها أقل من 7 ملايين نسمة. وتوجد بؤر أخرى للتنوع اللغوي في آسيا (خاصة في أندونيسيا والهند) وفي أفريقيا (خاصة في نيجيريا والكمرون وجمهورية الكونغو الديمقراطية)، والمحيط الهادي (خاصة في بابوا غينيا الجديدة وأستراليا) وأمريكا (في المكسيك والبرازيل بالدرجة الأولى).

وبابوا غينيا الجديدة بلغاتها التي تزيد على 850 لغة، وأندونيسيا، نحو 670 لغة، تملكان معاً نحو ربع اللغات المحكية في العالم، كما تملك كل واحدة من البؤر الأخرى أكثر من 200 لغة (الجدول 6، بالاستناد إلى Ethnologue،

الطبعة الثالثة عشرة. ويسهل التعرف على عدد من هذه البؤر على الخريطة: ففي المكسيك وأمريكا الوسطى، وغرب أفريقيا وجنوب آسيا وغينيا الجديدة تتركب النقاط التي تشير إليها في الخريطة بكثافة شديدة بحيث تظهر في بعض الأماكن في شكل "كتل" كبيرة. وفي كل من هذه المناطق ينتشر عدد كبير من اللغات المختلفة في بقعة جغرافية صغيرة نسبيا. وفي حالات أخرى (البرازيل وأستراليا) يكون عدد اللغات كبير نسبيا ولكنها منتشرة في بقعة جغرافية أوسع بكثير.

### الجدول 6- البلدان "العظيمة التنوع" اللغوي

أفريقيا: نيجيريا، الكامرون، جمهورية الكونغو الديمقراطية
أمريكا: البرازيل، المكسيك
آسيا: أندونيسيا، الهند
المحيط الهادي: بابوا غينيا الجديدة، أستراليا

وبالإضافة إلى هذه البؤر، يوجد في كل من البلدان التالية أكثر من 100 لغة: الفلبين، روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ماليزيا، جمهورية الصين الشعبية، السودان، تنزانيا، إثيوبيا، تشاد، جزر الهيبيريد الجديدة، جمهورية وسط أفريقيا، بورما (ميانمار)، نيبال، فانواتو. وربما كان هذا العدد أقل من الواقع. وهنا أيضا يتضح من الخريطة أنه يوجد في بعض الحالات (مثل فانواتو) عدد كبير من اللغات المحكية مركزة في إقليم صغير؛ وفي حالات أخرى (مثل روسيا) تتوزع اللغات على بقعة جغرافية واسعة.

### اللغات – ثروة الإبداع البشري

لغات العالم هي ثروة هائلة من إبداع البشر، ويمكن القول إنها بشكل عام تحتوي على "محصلة" أفكار البشر، وتعبّر عن العالم الفكري الذي أنتجه الجنس البشري (انظر الإطار رقم 6)

#### الإطار رقم 6

كل لغة تعبر عن رؤية فريدة للعالم وعن ثقافة مركبة، وهي مرآة ترىنا كيف استطاع مجتمع ناطق معين أن يحل مشاكله في التعامل مع العالم، وكيف صاغ فكره ووضع نظامه الفلسفي وطريقته في فهم العالم المحيط به. فكل لغة هي وسيلة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي لمجتمع ما، وتظل تعكس هذه الثقافة لفترة طويلة حتى بعد أن تتضع هذه الثقافة وتنتهار، غالبا بفعل ثقافة دخيلة مهيمنة، تكون

عادة ثقافة مركز السلطة. لكن مع كل لغة تموت وتندثر، نفقد إلى الأبد عنصرًا لا يعوض من معرفتنا وفهمنا للفكر البشري.<sup>16</sup> يرى اللغويون والأنثروبولوجيون أن تنوع الأفكار التي تحملها مختلف اللغات وتحفظها شتى الثقافات ضروري لبقاء البشرية واستمرار الحياة على الأرض ضرورة تنوع الأنواع الحية والنظم الإيكولوجية. لماذا؟ لأن هذا التنوع يتيح إيجاد أكبر قدر ممكن من الحلول المختلفة للتحديات التي يطرحها البقاء. وكلما اتسعت "مكتبة" المعرفة الإنسانية التي يمكن أن ينهل منها كل البشر، كلما زادت أمامنا فرص العثور على حلول جديدة عندما تفشل بعض محاولاتنا. ولا يمكننا الانتفاع بهذه "المكتبة" إلا بواسطة لغات العالم. وهذا المنظور ينعكس تمامًا في إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحادية والثلاثين (باريس، فرنسا، 15 أكتوبر/تشرين الأول - 3 نوفمبر/تشرين الثاني 2001) (الإطار رقم 7)

#### الإطار رقم 7

"... والتنوع الثقافي.... ضروري للجنس البشري ضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية. وبهذا المعنى، فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل" (المادة 1)<sup>17</sup>

#### أزمة اندثار اللغات والثقافات

نعم، إن تراث البشرية الثمين هذا مهدد بالخطر. فثمة أزمة اندثار أخرى تواجهنا اليوم وتهدد التنوع الثقافي في العالم، لا سيما تنوع لغاته وثرائها. فالكثير من ثقافات ولغات العالم في خطر عظيم، وهو خطر يحدق خاصة وليس حصراً بالثقافات واللغات الأصغر من حيث عدد المنتمين إليها أو الناطقين بها. فقد انقرضت بالفعل مئات اللغات خلال القرون القليلة الماضية، لا سيما منذ أواخر القرن الخامس عشر عندما بدأ عصر الاستعمار الأوروبي. ويتسارع هذا التدهور في كل أنحاء العالم تحت ضغط التجانس الناجم عن الاستيعاب الوطني والعولمة الاقتصادية. فالواقع أن كل اللغات التي لا يتجاوز عدد الناطقين بها 1000 شخص معرضة لهذا

<sup>16</sup> *The Atlas of the World's Languages in Danger of Disappearing*, edited by Stephen Wurm, 2<sup>nd</sup> edition, published by UNESCO, 2001: 13  
<sup>17</sup> [http://www.unesco.org/confgen/press\\_rel/021101\\_clt\\_diversity.shtml](http://www.unesco.org/confgen/press_rel/021101_clt_diversity.shtml)

الخطر وإن كانت اللغات الأوسع انتشارا يمكن أن تخضع تماما لضغوط مماثلة. وقد وصل العديد من هذه اللغات الصغرى إلى مرحلة شبه الانقراض إذ لم يعد يتكلمها سوى القليل من الشيوخ. وتتراوح إحصاءات اللغات "الوشيقة الاندثار" بين 6 و 11 % من اللغات المستعملة حاليا.<sup>18</sup>

وبلغ فقدان اللغات أوجه في القارة الأمريكية والمحيط الهادي. فمن بين لغات أستراليا البالغ عددها 250 لغة وما لا يقل عن 600 لهجة، انقرضت حتى الآن 50 لغة على الأقل<sup>19</sup> وتوشك 100 لغة أخرى على الانقراض. وفي أوائل التسعينات كانت هناك 9 لغات فقط يتكلمها أكثر من 1000 شخص. والوضع لا يقل خطورة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.<sup>20</sup> ويدرج فهرس Ethnologue 417 لغة في قائمة اللغات "الوشيقة الاندثار" لعام 2000 – أي اللغات التي لم يعد يستخدمها سوى بعض الشيوخ الذين لا يزالون على قيد الحياة. وهذا يعني أن هذه اللغات لن تنتقل إلى الأجيال الجديدة ومن ثم ستكف عن الوجود عندما يموت هؤلاء الشيوخ. والخريطة المرافقة لهذا الكتيب تسلط الأضواء على اللغات التي اعتبرها Ethnologue لغات "وشيقة الاندثار" وتشير إليها بنقاط حمراء بينما تشير إلى اللغات الأخرى بنقاط سوداء. ومن ضمن هذه اللغات "الوشيقة الاندثار" توجد 161 لغة في أمريكا (وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية) و157 في المحيط الهادي (في أستراليا بصفة رئيسية). وتوجد 55 لغة "وشيقة الاندثار" في آسيا و37 في أفريقيا و7 في أوروبا.

وقد يبدو عدد هذه اللغات ضئيلا ولكن اللغويين ينبهون إلى أنها لا تمثل إلا قمة جبل الجليد. فالكثير من اللغات الأخرى تعتبر "مهددة" إذ تظهر عليها أعراض تحوّل الناطقين بها إلى لغات أخرى، لأن الأجيال الجديدة لم تعد تتعلم لغة الأجيال الماضية. وكما وضعت قوائم حمراء للحيوانات والنباتات المهددة، كذلك وضعت كتب حمراء للغات المهددة (الجدول 7)

**الجدول 7 – الكتب الحمراء للغات المهددة**

أوروبا [http://www.helsinki.fi/~tasalmin/europe\\_index.html](http://www.helsinki.fi/~tasalmin/europe_index.html) :

From Maffi, Luisa (1998). Language: A Resource for Nature. *Nature and Resources: The UNESCO<sup>18</sup> Journal on the Environmental and Natural Resources Research* 34(4): 12-21

<sup>19</sup> أو انها غير منقرضة وإنما "نائمة" وتنتظر من يوقظها، كما يقول المتفائلون من سكان أستراليا الأصليين.

<sup>20</sup> غير أن العالمين اللغويين ليان هنتون وكن هيل وضعا كلمة "الأخضر" في عنوان الكتاب الذي أعده *The Green Book of Language Revitalization in Practice* (Academic Press, 2001) تعبيرا عن الأمل في أن بعض اللغات يمكن أن تنزع من القائمة "الحمراء" للغات المهددة (انظر الجدول 7)، أو ينبغي ألا توضع فيها إطلاقا.

شمال شرقي آسيا: [http://www.helsinki.fi/~tasalmin/nasia\\_index.html](http://www.helsinki.fi/~tasalmin/nasia_index.html)  
آسيا والمحيط الهادي: <http://www.tooyoo.l.u-tokyo.ac.jp/redbook/asiapacific/asia-index.html>  
أفريقيا: <http://www.tooyoo.l.u-tokyo.ac.jp/redbook/africa-index.html>  
بنوك البيانات الخاصة باللغات الفنلندية الأوغرية :  
<http://www.helsinki.fi/~tasalmin/deful.html>; <http://www.suri.ee>  
روسيا: <http://www.eki.ee/books/redbook/>  
أمريكا الجنوبية: <http://www.tooyoo.l.u-tokyo.ac.jp/redbooks/Samerica/index.html>

وفي الطبعة الأخيرة لأطلس اليونسكو للغات المهددة بالاندثار (2001) قدر أن نصف لغات العالم ربما تكون حالياً مهددة بدرجات متفاوتة. بل يتنبأ بعض الباحثين أن 90% من لغات العالم الحالية قد تنقرض أو توشك على الانقراض في آخر القرن الحالي.<sup>21</sup>

وكما أن معظم الأنواع الحية المعرضة للانقراض هي الأنواع التي لم تدرس علمياً، فإن معظم اللغات المهددة هي أيضاً اللغات التي لم يتم وصفها ولا تسجيلها صوتياً ولا تدوينها كتابة. وإذا كف الناس عن التكلم بها ضاعت نهائياً ليس فقط بالنسبة لأعضاء المجتمعات التي تنطق بها وإنما أيضاً للبشرية جمعاء.

وعندما تموت اللغة يمكن أن يموت أو ينحسر بشدة معها الكثير من المعارف والمعتقدات والقيم التي يحملها المجتمع الناطق بها لتحل محلها معارف ومعتقدات وقيم مرتبطة بلغة أو بثقافة أخرى أكثر نفوذاً. ومن أهم أسباب اندثار اللغات ما يلي:

- التعليم الرسمي بلغة ليست لغة الطفل الأصلية، وبالتالي لا يتعلم الأطفال تماماً لغتهم (فلا يتعلمون مثلاً كيف تقرأ أو تكتب، ولا يتعلمون المفردات والبنى التي يعرفها جيل آبائهم). وهو وضع يسمى **تعلم اللغات بالطرح**، حيث يجري تعلم اللغة المهيمنة على حساب اللغة الأم. ويمكن في المقابل تعليم اللغات المهيمنة بالإضافة إلى الرصيد اللغوي للأطفال دون المساس باللغات الأم، وهذا ما يسمى **تعلم اللغة بالإضافة** بحيث تنجم عنه **ثنائية اللغة المضافة**، أي تعدد اللغات مع الاحتفاظ باللغة الأم. وتعلم اللغات بالطرح يعني أيضاً أن هؤلاء الأطفال سوف ينزعون في المستقبل إلى عدم مخاطبة أطفالهم بلغتهم الأم.

Krauss, Michael 1992. The world's languages in crisis. *Language* 68(1): 4-10<sup>21</sup>

- تحقيق التجانس اللغوي في الإعلام ووسائل الترفيه وغير ذلك من المنتجات الثقافية باللغات المهيمنة. والرسالة التي يحملها هذا الاتجاه هي أن اللغات المستخدمة في الأفلام والتلفزيون وموسيقى البوب هي لغات أعلى مستوى من غيرها.
- كثيرا ما يؤدي التوسع الحضري والهجرة والحراك المهني للسكان إلى تفتيت المجتمعات اللغوية مما يحد من إمكانية سماع الأطفال لغة (لغات) آبائهم واستخدامها يوميا.
- سوق العمل الذي يتطلب معرفة اللغات المهيمنة ولا يوفر حوافز اقتصادية أو نفسية للمحافظة على اللغات الصغيرة.
- عدم توفير حماية كافية لحقوق الإنسان اللغوية.
- الإيديولوجيات المتمثلة في الخيار بين أمرين (إيديولوجية "إما/أو")، والتي ترى في أحادية اللغة باللغة المهيمنة - وليس في التعدد اللغوي - أمرا طبيعيا وكافيا ومنشودا سواء بالنسبة للدولة (أمة واحدة - لغة واحدة) أو بالنسبة للأفراد. وهذا يحمل الآباء في كثير من الأحيان إلى التفكير بأن على أطفالهم أن يختاروا إما تعلم لغتهم الأم (والفضل في سوق العمل) أو تعلم اللغة المهيمنة (والتضحية بلغتهم).

### **التنوع البيوثقافي (البيولوجي الثقافي)**

إن تعاضم الاعتراف بنطاق أزمة التنوع اللغوي والآثار العملية المترتبة عليها يمكن مقارنته بالمسيرة التي أدت سابقا إلى الاعتراف بأزمة التنوع البيولوجي. ولكن يضاف إلى ذلك، كما أشرنا في الفقرات السابقة، تزايد الوعي بأن التنوع البيولوجي والتنوع الثقافي واللغوي ليسا وجهين مستقلين من أوجه تنوع الحياة، بل هما متداخلان بصورة حميمة ويعزز أحدهما الآخر. وبالمثل فإن أزمتي الاندثار اللتين يعاني منهما هذان المظهران من مظاهر تنوع الحياة قد يكون مألهما أن تلتقيا - بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المشتركة - بل وربما أن تعزز كل منهما الأخرى. وينطبق ذلك خاصة على مجتمعات السكان الأصليين والأقليات التي تعيش قريبا من البيئة الطبيعية وتعتمد عليها لتأمين سبل عيشها. فهي تعتمد عليها مباشرة لتأمين الغذاء والدواء ومواد البناء وسائر المنتجات الضرورية لقوتها (عن طريق الزراعة وتربية المواشي والصيد وصيد الأسماك وجمع المواد الغذائية)، كما تعتمد عليها في حاجاتها الثقافية والروحية. ومن خلال هذه الأنشطة طورت هذه المجتمعات على مر الزمن معرفة معمقة للنظم الإيكولوجية المحلية. فتأقلمت معها وتعلمت في نفس الوقت كيف تستغلها

وتديرها للوفاء باحتياجاتها. كما طورت هذه المجتمعات أنظمة مركبة لتصنيف العالم الطبيعي تنم عن فهمها العميق للنباتات والحيوانات والعلاقات الإيكولوجية وديناميات النظم الإيكولوجية الموجودة في بيئتها المحلية. وهذا ما يسميه الأنثروبولوجيون "المعارف الإيكولوجية التقليدية". والكثير من هذه المعارف يجري التعبير عنها وتناقلها بواسطة اللغة، والمفردات، والحكايات والنوادر، والسخرية والنقد، والتخطيط للأحداث وتكرارها، وبصفة عامة من خلال النقاشات اليومية والطقوس والتقاليد والاحتفالات. وتبين في حالات كثيرة أن المعارف المحلية والتقليدية أكثر تطوراً من العلم الغربي، بل إنها تسبق مصادر أخرى من المعرفة مثل الكشوفات العلمية. ومن سخرية الأقدار أن المعرفة التي تنطوي عليها أصغر اللغات "تكتشفها من جديد" مصادر خارجية. (الإطار رقم 8)

## الإطار رقم 8

علق بيكا آيكيو، رئيس البرلمان السامي في فنلندا (ويعمل راع لحيوانات الرنة)، في نوفمبر 2001، على "اكتشاف" حديث أعلن عنه بيولوجيو الأسماك الشماليون وهو أن أسماك السلمون يمكن أن تبيض أيضاً في الجداول الصغيرة – وهو ما لم يكن البيولوجيون يظنون أنه ممكن. ولكن أيكيو السامي قال إن ذلك معروف لديه أصلاً، بل إن الكثير من الجداول التي تمت دراستها تحمل أسماء تتضمن كلمة معناها "حوض تفريخ السلمون".

وعندما يكفّ الشباب عن تعلم لغة آبائهم، أو يتعلمونها بصورة جزئية فقط، فإن المعارف الخاصة التي تنطوي عليها لغاتهم لا تنتقل إلا لماماً إلى اللغة المهيمنة التي تحل محلها. وعادة ما يكون ذلك لأن اللغة المهيمنة لا تملك المفردات اللازمة للتعبير عن هذه المعارف الخاصة، بل ربما لأن الظروف المحددة التي يتم فيها تعلم هذا النوع من المعرفة وإدراك ضرورتها الحيوية، لا تطرأ في الثقافة المهيمنة التي يتبنى السكان الأصليون أو الأقليات لغتها. ويحدث ذلك خاصة عندما يحل التعليم النظامي محل التربية غير النظامية التي تكتسب في إطار العائلة والمجتمع المحلي. فعلى سبيل المثال أصبح الشباب المايا في مرتفعات شيباس يحصلون الآن على معظم تعليمهم في المدارس الرسمية. ولكن الكتب لا تعلمهم شيئاً عن النباتات الطبية التي توجد في البيئة المحلية والتي طالما استخدمتها الأجيال السابقة كعلاج طبي. ولذا فإن الكثير من هذه المعارف



لا تنتقل إليهم في بحر حياتهم. والكثير من الصغار لا يتعلمون أسماء وخصائص واستعمالات هذه النباتات التي يمكن أن تشكل موارد طبية متيسرة المنال ويمكن التعويل عليها. ويتعين عليهم بدلا من ذلك اللجوء إلى النظام الطبي "الحديث" الذي عادة ما يوفر لهم مستوى أدنى من العناية الطبية. وعلى الرغم من أنه ليس من غير المألوف أن تبتعد الشعوب الأصلية تدريجيا عن تكنولوجياتها الخفيفة نتيجة لما عانتها من استغلال مكثف وتعدّ على أراضيها، فإن المجتمعات تواصل السعي إلى توثيق معرفة الشيوخ ونقلها إلى الأجيال اللاحقة. فبقاء المعارف الإيكولوجية التقليدية ذاته لا يرتهن فقط بقواعد البيانات ومراكز جمع المعارف أو نشر البحوث، وإنما يرتهن أيضا بإمكانية استخدام هذه المعارف وتطويرها في الحياة اليومية ومن خلال نظم الإدارة التقليدية.

### التوزيع المترابك للتنوعين الإثني اللغوي والبيولوجي

يمكن ملاحظة الصلات التي تربط بين التنوع اللغوي الثقافي والتنوع البيولوجي عن طريق المقارنة بين نماذج التوزيع الجغرافي للتنوع البيولوجي في العالم وأشكال التوزيع الجغرافي للتنوع الثقافي، وكذلك عن طريق ملاحظة الصلة بين مواقع البيئات المهددة واللغات المهددة. وإذا قارنا بين الجدول 2 (البلدان العظيمة للتنوع البيولوجي) والجدول 6 (البلدان العظيمة للتنوع اللغوي) وجدنا أن 7 بلدان من أصل البلدان التسعة التي تحتل المكانة الأولى في جدول التنوع اللغوي تظهر أيضا بين البلدان السبعة عشر الأولى في جدول التنوع البيولوجي. وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد ضمن البلدان الـ 25 الأولى من حيث عدد اللغات المستوطنة (أي التي لا تستخدم إلا ضمن حدود البلد المعني) 13 من أصل البلدان الـ 17 العظيمة للتنوع البيولوجي (انظر العمود الأخير من الجدول 8).

ويلاحظ تطابق كبير في مختلف أنحاء العالم بين استيطان الفقاريات واللغات، والنباتات المزهرة واللغات، والطيور واللغات. ويمكن ملاحظة أوجه التطابق هذه في الجدول 8. ويرد ترتيب البلدان لا بحسب العدد الإجمالي للغات وإنما بحسب عدد اللغات المستوطنة. ويجدر التذكير بأن اللغات المستوطنة تمثل العدد الأكبر (نحو 83-84 %) من لغات العالم. وكما يتضح من الجدول فإن بابوا غينيا الجديدة التي تحتل المكانة الأولى بين البلدان من حيث عدد اللغات المستوطنة، ترد في المرتبة الثالثة عشرة من حيث عدد الفقاريات المستوطنة. وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الحادية عشرة على القائمة من حيث عدد اللغات المستوطنة ومن حيث عدد الفقاريات. ومن جهة أخرى فإن نيجيريا تحتل المرتبة الثالثة في

قائمة الفقاريات ولكنها لا تظهر بين البلدان الخمسة والعشرين الأولى بالنسبة لجميع المؤشرات الخاصة بالتنوع البيولوجي المستخدمة في الجدول.

### الجدول 8- مقارنة بين استيطان اللغات ومراتب التنوع البيولوجي<sup>22</sup>

البلد	المرتبة، العدد الإجمالي لـ				هل يظهر في قائمة البلدان العظيمة التنوع؟		
	اللغات المستوطنة المرتبة/ العدد	الفقاريات المستوطنة المرتبة/ العدد	النباتات المزهرة	مناطق الطيور المستوطنة			
بابوا غينيا الجديدة	1	847	1 3	203	18 <sup>t</sup>	6	نعم
اندونيسيا	2	65 5	4	673	7 <sup>t</sup>	1	نعم
نيجيريا	3	376					
الهند	4	309	7	373	12	11	نعم
استراليا	5	261	1	1,346	11	9	نعم
المكسيك	6	230	2	761	4	2	نعم
الكمرون	7	201	23	105	24		
البرازيل	8	185	3	725	1	4	نعم
جمهورية الكونغو الديمقراطية	9	158	18	134	17		نعم
الفلبين	10	153	6	437	25	11	نعم
الولايات المتحدة الأمريكية	11	143	11	284	9	15	نعم
فانواتو	12	105					
تنزانيا	13	101	21	113	19	14	
السودان	14	97					
ماليزيا	15	92			14		نعم
أثيوبيا	16	90	25	88			
الصين	17	77	12	256	3	6	نعم
بيرو	18	75	8	332	13	3	نعم
تشاد	19	74					
روسيا	20	71			6		
جزر سليمان	21	69	24	101			
نيبال	22	68			22		

<sup>22</sup> عدل الجدول Skutnabb-Kangas وهو مستمد من Harmon, David, and Maffi, Luisa (2002). هل هناك صلة بين التنوع اللغوي والتنوع الثقافي؟ 26-27: *Conservation Biology in Practice* 3(1). وقد استعيرت الأرقام الخاصة باللغات من Harmon في *Ethnologue* الطبعة الثانية عشرة، وتلك الخاصة بالفقاريات من Global. Groombridge (ed.) (1992) *Biodiversity: Status of the Earth's Living Resources*. World Conservation Monitoring Centre. London: Chapman and Hall. وترد في الجدول 8 أسماء البلدان التي تنصدر قائمتي اللغات المستوطنة والفقاريات المستوطنة بالخط الأسود العريض.

كولومبيا	23	55	9	330	2	5	نعم
كوت ديفوار	24	51					
كندا	25	47					

وتبين الخريطة 1<sup>23</sup> بيانات الجدول 8 بشكل ظاهر حيث نرى التراكم بين الفقرات المستوطنة واللغات المستوطنة في العالم بحسب البلدان.

### تدرج الخريطة 1 في هذا المكان

تبين الخريطة المرافقة لهذا الكتيب التراكم في توزيع لغات العالم جميعها البالغ عددها 6809 لغة (بحسب Ethnologue) والمناطق الإيكولوجية في العالم البالغ عددها 866 (بحسب الصندوق العالمي لصون الطبيعة). ويتضح من الخريطة أن التراكم أكثر ما يصادف في مناطق الغابات المدارية، وهي الحيوانات الثلاثة الأولى على الخارطة. وفي نفس الوقت ترينا الخريطة أن الغابات المدارية هي أيضا من بين أكثر المناطق تعرضا لأفدح الأخطار والتي يوجد فيها أكثر تجمع للغات "الوشيقة الأندثار" ( كما يتضح من تراكم النقاط الحمراء التي تشير إلى اللغات "الوشيقة الأندثار" والظلال الأرجوانية التي تشير إلى المناطق الإيكولوجية المهددة بدرجة عالية من الخطر. ولكن البشر ولغاتهم موجودة في معظم المناطق الإيكولوجية ومعظم الحيوانات، والكثير من هذه المناطق الإيكولوجية واللغات هي الأخرى مهددة. وكثير من الأخطار التي تهدد النظم الإيكولوجية هي نفسها التي تهدد البشر الذين يعيشون فيها وبالتالي اللغات التي يتكلمونها. فالتحويل الواسع النطاق لاستغلال الأراضي والاستغلال غير المستديم للموارد الطبيعية مع انتشار الزراعة التجارية، ومزارع تربية الماشية المكثفة، ومناجم استخراج المعادن، واستخراج البترول، وتشبيد السدود العظيمة، والتوسع الحضري، وبناء الطرقات، كلها تعد من الأنشطة التي تهدد هذه المناطق الإيكولوجية.

كما أن التغيير الاجتماعي-الاقتصادي والسياسي السريع يؤثر على المجتمعات المحلية فيبعدها عن طرائق عيشها التقليدية بل وينزعها من بيئاتها الأصلية. وهذا بدوره يؤدي عادة إلى التحول عن اللغة والثقافة (تبنّي لغة وثقافة مختلفة تكون عموما لغة وثقافة الأغلبية أو اللغة والثقافة المهيمنتين). وتمثلت إحدى نتائج هذه التغييرات في أن استخدام المعارف

Maffi, Luisa (1988): A Resource for Nature. *Nature and Resources : The UNESCO Journal on the Environment and Natural Resources Research* 34(4):12-21  
David Harmon.

الإيكولوجية التقليدية والقدرة على نشرها من خلال اللغة في سبيلهما إلى التلاشي. وكثيرا ما كانت عواقب ذلك خطيرة على رفاه الناس وصحة البيئة. وربما أدى الأمر بالسكان المحليين إلى اعتماد أساليب في استغلال البيئة لم تطور محليا ولا تتلاءم مع الظروف المحلية (أو أكرهوا على ذلك)، مما أدى إلى سرعة نضوب الموارد الطبيعية وتدهور البيئة. ومن الأمثلة على ذلك تحويل الغابات في المناطق المدارية إلى أراض زراعية وإلى مراعي. والمعروف أن تربة الغابات المطيرة تربة هشة ويعتمد تجددتها اعتمادا كاملا على الغابة نفسها. فعندما تزال الأشجار تنضج التربة في فترة لا تتجاوز السنتين وتستحيل المنطقة إلى عراء. وهذا يقلل من قدرة السكان على تأمين الغذاء والماء والدواء والمأوى وغير ذلك من ضرورات الحياة ويؤثر على حالتهم الصحية وعلى أحوالهم النفسية والاجتماعية والروحية.

فالتنوع الثقافي هو إذن ثروة من المعارف التي جمعناها على مر الزمن - بما فيها معرفة أساليب الصون والاستغلال المستدام لبعض من أكثر النباتات هشاشة وتنوعا بيولوجيا في العالم. وإذا فقدنا خلال القرن المقبل أكثر من نصف لغاتنا فإننا نكون قد قوّضنا بصورة خطيرة فرصنا في الحياة على وجه الأرض. ومن هذا المنظور، فإن هدف تعزيز صحة ونشاط نظمنا الإيكولوجية لا ينفصل عن هدف تعزيز صحة ونشاط المجتمعات البشرية وثقافتها ولغاتها. فنحن بحاجة إلى نهج بيوثقافي متكامل لمواجهة الأزمة البيئية لكوكبنا الأرضي.

### التصدي لأزمة انقراض التنوع البيوثقافي

وبناء على ما تقدم ينبغي وضع قضية دعم لغات العالم، ومن خلالها دعم التراث الثقافي للشعوب التي تنطق بها، في مرتبة عالية من الأولوية في برنامج كل من يعنيه أمر صون البيئة والتنمية المستدامة. وتعد الأفكار والمعارف والمعلومات المنتجات الرئيسية لما نسميه "مجتمع المعرفة" أو "مجتمع المعلومات". فالمناطق الغنية باللغات غنية أيضا بمعارف شتى من بيئات مختلفة وبرؤى كونية شتى وبوفرة من الأفكار الخلاقة. فهي غنية بما أطلق عليه عبارة "الرصيد المعرفي"، وهو ما يحتاجه كل تجديد. والحفاظ على جميع لغاتنا أمر ضروري لحل المشكلات التي نواجهها، سواء من خلال المعارف التقليدية المتضمنة في مختلف اللغات والثقافات أو من خلال التجديد المنبثق من هذه المعارف.

والتعليم، النظامي وغير النظامي، يمكن أن يساعد في المحافظة على اللغات والثقافات وتنميتها في السياق الإيكولوجي، كما يمكن أن يجعلها أشد صعوبة. وتبين الدراسات جيدا أن الاستعمال "الخاطئ" للتعليم النظامي يمكن أن يكون من أسباب زوال التنوع اللغوي. وعدم فهم اللغة التي تعلم في قاعة الدراسة يزيد من معدلات ترك المدرسة بصورة مبكرة، ويزيد إلى حد كبير من صعوبة تعلم القراءة والكتابة. وتضطر الغالبية العظمى من الأطفال المنتمين إلى جماعات لغوية صغيرة - هذا إذا ما التحقوا بالمدارس - إلى قبول التعليم بواسطة لغة ليست لغتهم.

والاستيعاب اللغوي -أي عندما يغير أطفال السكان الأصليين والأقليات لغتهم عن طريق التعليم النظامي لكي يتكلموا لغة الأغلبية أو اللغة المهيمنة فقط (أو بصفة رئيسية) - ليس أمرا طوعيا. فالآباء في هذه الحالة ليسوا مخيرين، إذ لا توجد مدارس تستخدم لغتهم في التعليم والتعلم. وحتى في الحالات التي توجد فيها مثل هذه المدارس ويكون للآباء الخيار، فهم لا يملكون عادة معلومات كافية عن تبعات اختيارهم في المدى الطويل.

وكثيرا ما تكون لغات أطفال السكان الأصليين والأقليات متوارية تماما عن الأنظار في المدارس. فيسود اعتقاد خاطئ بأن هذه اللغات لا يمكن استخدامها لأي غرض مفيد وأنها لا تتلاءم مع المجتمعات التكنولوجية الحديثة. وكثيرا ما يعطى للآباء والأطفال الانطباع الخاطئ بأن عليهم الاختيار بين اللغات بدعوى أنه يتعذر اتقان لغتين في وقت واحد. وإن الأساليب التي ينظم بها النظام التعليمي تؤدي بهم إلى الاعتقاد خطأ بأن عليهم أن يتخلوا عن لغتهم إذا أرادوا تعلم اللغة المهيمنة والمضي قدما في الحياة.

وراء التأثير التجانسي للتعليم ووسائل الإعلام تكمن القوى الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية التي تشجع التماثل اللغوي والثقافي والفكري، سواء على الصعيد العالمي أو في داخل كل بلد، وذلك باسم حرية السوق، والدين، والوحدة الوطنية، والتكاليف، والاحتياجات التكنولوجية، والكفاءة والتحديث، وما إلى ذلك. ويدعو إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي (2001) إلى مكافحة التجانس اللغوي والثقافي، كما تحدد خطة عمله عددا من الأهداف التي تعبر عن ذلك، ولا سيما منها "صون تراث الإنسانية اللغوي ودعم التعبير والإبداع والنشر في أكبر عدد ممكن من اللغات" (البند 5).

وبذل الناشطون في المجتمعات المحلية والباحثون وغيرهم من المعنيين خلال العقد الماضي، بما في ذلك المنظمات الحكومية وغير الحكومية

جهودا كبرى لمواجهة هذه المشكلات. فنفذت طائفة من الأنشطة بدءا من إجراء دراسات استقصائية عن حالة لغات العالم، وتوثيق اللغات المهددة، وتطوير برامج للمحافظة على اللغات والتعليم باللغة الأم، وحتى إعداد صكوك لحقوق الإنسان ورسم سياسات تعليمية. ونشطت اليونسكو على جميع هذه المستويات. غير انه على الرغم من المحاولات الجدية الكثيرة لتقييم وتعزيز التنوع اللغوي والثقافي، لم تنجح هذه المساعي عموما في التأثير على السياسات الحكومية. ونورد فيما يلي بعض الأمثلة عن الحجج التي يمكن استخدامها لإصلاح هذا الوضع.

بينت البحوث في أنحاء كثيرة من العالم أن أطفال السكان الأصليين وأطفال الأقليات الذين يتلقون الجانب الأساسي من تعليمهم بلغتهم الأم، والذين يحصلون في نفس الوقت على تعليم جيد باللغة المهيمنة كلغة ثانية (يدرّسها معلمون يتقنون اللغتين)، يتعلمون في نهاية المطاف اللغة المهيمنة بمستوى يعادل على الأقل، بل يفوق أحيانا، الأطفال الذين يتلقون كل تعليمهم باللغة المهيمنة. ويصبحون فضلا عن ذلك من الناطقين بلغتين أو بعدة لغات<sup>24</sup>.

وكثيرا ما يحتج بعدم وجود ما يكفي من المال لتعليم اللغات العديدة المستخدمة في افريقيا وآسيا. وقد خلص إدوارد ويليامز (1995) في دراسته المقارنة للتعليم الابتدائي في زامبيا وملاوي إلى نتيجة مفادها " أن الدرس الذي يمكن استخلاصه من الإنجاز الذي حققته ملاوي يتمثل في أن ندرة التمويل يزيد من احتمالات نجاح المساعي الرامية إلى تعليم التلاميذ لغة محلية معروفة بدلا من لغة لا يعرفونها"<sup>25</sup>. ومن الممكن تماما استخدام لغات لم تكتب سابقا لتعليم أي شيء في المدرسة، حتى عندما يوجد عدد كبير حقا من هذه اللغات، كما يتبين من حالة بابوا غينيا الجديدة (الإطار رقم 9).

## الإطار رقم 9

استخدمت بابوا غينيا الجديدة، وهي البلد الذي يضم أكبر عدد من اللغات المحكية في العالم (نحو 850 لغة في حين يبلغ عدد سكانها 5 ملايين نسمة ونييف)، 380 لغة كوسيلة للتدريس في التعليم قبل المدرسي وأول سنتين من المرحلة الابتدائية في العام الدراسي

<sup>24</sup> راجع Cummins, Jim (2000). *Language, Power, and Pedagogy: Bilingual Children in the Crossfire*. Clevedon, UK: Multilingual Matters and Skutnabb-Kangas, Tove (2000). *Linguistic genocide in education – or worldwide diversity and human rights?*

Mahwah, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates

<sup>25</sup> Williams, Edward (1998). *Investigating bilingual literacy: Evidence from Malawi and Zambia*. Education Research No. 24. London: Department For International Development.

2001/2000، كما تعتزم استخدام 90 لغة أخرى في 2001-2002. وعلى الرغم من مشكلات الانتكاس العديدة، يبدو أن الأطفال "تعلموا القراءة والكتابة بلغاتهم الأم بسرعة وسهولة أكبر مما فعلوا باللغة الانجليزية. كما يبدو أن تعلمهم اللغة الانجليزية كان أسرع من تعلم إخوانهم الأكبر سناً لها في إطار النظام القديم، وازداد معدل الالتحاق بالمدرسة نظراً لأن الآباء يبدون أكثر رغبة في إرسال أولادهم إلى المدارس وتقديم التضحيات اللازمة لإبقائهم فيها. وقد انخفضت معدلات التسرب، وزادت بصفة خاصة نسب الفتيات الملتحقات بالمدارس عما كانت عليه في السابق. كما يبدو الأطفال أكثر حماساً ونشاطاً وثقة بالنفس ورغبة في التعلم. فصاروا يطرحون المزيد من الأسئلة. وكثيراً ما يروي المعلمون ذكرياتهم ويصفون الارتباك والرعب الذي كان يستبد بهم لدى دخولهم المدرسة لأول مرة عندما كان المعلمون يخاطبونهم بلغة لا يفهمونها. وهم يشعرون بالارتياح لأن تلاميذهم لا يواجهون الصعوبة نفسها. ويروي بعض المعلمين ما يعترضهم من مشاعر مختلطة: ففي حين كانوا أقدر على ضبط تلاميذهم عندما كان هؤلاء خانعين وسلبيين، فهم اليوم أكثر حماساً لأن تلاميذهم يستوعبون بسرعة أكبر منذ أن اعتمد الإصلاح"<sup>26</sup>.

كما أن الكثير من مبادرات المدارس والمعلمين والمجتمعات المحلية والمشروعات المنفذة على المستوى الشعبي، تبرهن على صحة المبدأ القائل بأن أساليب التعليم والمناهج، لكي تكون مجدية اجتماعياً وثقافياً، لا بد أن تستوعب المعارف المحلية والتقليدية، وفقاً لما أوصت به اليونسكو (التربية والتنوع الثقافي، 2001). وإن مدرسة سكوت سامي في سيفيتيجارفي، بفرنلندا تعطينا مثلاً على ذلك (انظر الإطار رقم 10 مع الصورة).

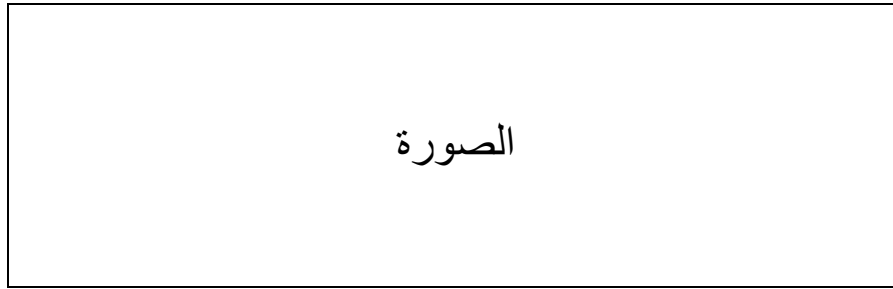
### الإطار رقم 10

يوجد في العالم أقل من 400 شخص يتكلمون لغة سكولت سامي. وهم يقدمون مثلاً عن كيفية استيعاب المعارف البيوثقافية في المناهج الدراسية. فأطفال سيفيتيجارفي الذين يتكلمون اللغتين السامية والفرنلندية يتلقون التعليم بكلتا اللغتين. فيبتكر الأطفال والمعلمون بأنفسهم المواد التعليمية المستمدة من بيئتهم. ويساعد التعليم في المحافظة على المعارف الإيكولوجية التقليدية كما تتعزز هذه المعارف بفضل العمل مع الآباء والشيوخ الذين يرتادون

<sup>26</sup> Klaus, David (in press). The use of indigenous languages in early basic education in Papua New Guinea: a model for elsewhere? *Language and Education*

المدرسة ومركزها الثقافي ( ويدفع لهم أجر مقابل مساهماتهم) . والأطفال الذين نفذوا الرسم المصور أدناه بدؤوا أيضا تعلم مادة اللغة الانجليزية كلغة  
ثالثة.

والطيور المرسومة في يسار الصورة كتبت أسماؤها بلغة السامي فقط. أما الحيوانات التي تتوسط الصورة فقد كتبت أسماؤها باللغتين السامية والانجليزية بينما كتبت النشرة المعلقة في يسار الرسم باللغتين الفنلندية والسامية. ونجد لغة سكولت سامي في كل مكان مع بيان ارتباطها بالمعارف التقليدية<sup>27</sup>.



المصور: كاري توريكا

### درب المستقبل

عقدت منظمة الأمم المتحدة في عام 1992 المؤتمر المعني بالبيئة والتنمية في ريو دي جانيرو، البرازيل ("قمة الأرض") لوضع إطار يربط بين حماية البيئة والتنمية المستدامة. وصدرت على اثر القمة عدة وثائق دولية (إعلان ريو، واتفاقية التنوع البيولوجي، (انظر الإطار رقم 11)، وإطار عمل اتفاقية التغير المناخي، وبيان المبادئ بشأن الغابات، وجدول عمل القرن 21، ثم اتفاقية مكافحة التصحر واتفاقية الأراضي الرطبة) اعترفت جميعها بأهمية المعارف الإيكولوجية التقليدية بالنسبة لصون التنوع البيولوجي واستخدامه المستديم.<sup>28</sup>

**الإطار رقم 11**

Skutnabb-Kangas, field notes, information from Satu Moshnikoff, Ulla Aikio-<sup>27</sup>  
Puoskari, November 2001

<sup>28</sup> يمكن الاطلاع على نصوص هذه الوثائق على الموقع

<http://www.johannesburgsummit.org/html/documents/unceddocs.html>



تؤكد المادة 8(ي) من اتفاقية التنوع البيولوجي على أنه يجب على الدول الأطراف "احترام المعارف والابتكارات وممارسات المجتمعات الأصلية والمحلية التي تجسد أساليب الحياة التقليدية ذات الصلة بصيانة التنوع البيولوجي واستخدامه على نحو قابل للاستمرار، والحفاظ عليها وصونها وتشجيع تطبيقها على أوسع نطاق، بموافقة ومشاركة أصحاب هذه المعارف والابتكارات والممارسات، وتشجيع الاقتسام العادل للمنافع التي تعود من استخدام هذه المعارف والابتكارات والممارسات".

غير أن أيا من هذه الوثائق لم يعترف صراحة بأن حفظ وصيانة وتعزيز المعارف الإيكولوجية التقليدية يقتضي حفظ وصيانة وتعزيز اللغات التي تعبر عن هذه المعارف وتنقلها. غير أنه تم مؤخرا الاعتراف بالدور الخاص الذي تؤديه اللغات في حفظ هذه المعارف. ففي عام 1999، أصدر برنامج الأمم المتحدة للبيئة مجلدا ملحقا بتقريره المعنون *تقييم التنوع البيولوجي في العالم*، 1995 (تحرير ف.ن. هيوود) بعنوان *القيم الثقافية والروحية للتنوع البيولوجي* (تحرير د. بوزي)، اعترافا منه بأن هذه القيم، واللغات التي تنتقل بواسطتها، تلعب دورا رئيسيا في صون التنوع البيولوجي. وتعتبر اليونسكو في مشروع البرنامج والميزانية لعامي 2002-2003 عن هذه النية (انظر الإطار رقم 12)

## الإطار رقم 12

"ستشغل كفاءة احترام التنوع الثقافي واللغوي ومختلف منظومات القيم والمعتقدات ومعارف السكان الأصليين مكانة هامة في مجال تصميم الحلول المحلية للاستدامة، ولا سيما بالنظر إلى الدور الذي قامت به اللغات المحلية بوصفها مخزونا للمعارف المتعلقة بالتنوع البيولوجي والتنمية المستدامة"<sup>29</sup>.

وقد انقضى عقد من الزمن منذ قمة ريو، وثمة أسباب كثيرة تحمل على القلق بشأن حالة "الأركان" الثلاثة للتنمية المستدامة المتمثلة في البيئة والمجتمع والاقتصاد. وأصبح الآن من الضروري أكثر من أي وقت مضى إقرار ثقافة السلام والعمل على أن تتعلم البشرية احترام وحماية هذا العالم الواحد المختلف الذي نتقاسمه جميعا. ويمكن إحراز تقدم حقيقي في القرن الحادي والعشرين إذا تضامنت البشرية في جهد مشترك من أجل صيانة نظمنا الإيكولوجية وثقافتنا ولغاتنا لكي تستعيد مرونتها وحيويتها، فإن عليها سوف تعتمد حياة الأجيال المقبلة.

<sup>29</sup> مشروع البرنامج والميزانية لليونسكو لعامي 2002-2003، 31/م5، الفقرة 01212

## لمن يرغب في معرفة المزيد عن هذا الموضوع:

- Crosby, Alfred W. (1994). **Ecological imperialism. The biological expansion of Europe, 900-1900.** Cambridge: Cambridge University Press.
- Crystal, David (2000). **Language Death.** Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Fishman, Joshua, A. (ed.) (2001). **Can Threatened Languages Be Saved? Reversing Language Shift, Revisited: A 21<sup>st</sup> Century perspective.** Clevedon, UK: Multilingual Matters.
- Harmon, David (in press). **In Light of Our Differences: How Diversity in Nature and Culture Makes Us Human.** Washington, D.C.: The Smithsonian Institution Press.
- Heywood, Vernon H. (1995). **Global Biodiversity Assessment.** Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Hinton, Leanne & Hale, Ken (eds) (2001). **The Green Book of Language Revitalization in Practice.** San Diego: Academic Press.
- Krauss, Michael (1992). The world's languages in crisis. **Language** 68:1, 4-10.
- Maffi, Luisa (ed.) (2001). **On Biocultural Diversity. Linking Language, Knowledge and the Environment.** Washington, D.C.: The Smithsonian Institution Press.
- Mühlhäusler, Peter (1996). **Linguistic ecology. Language change and linguistic imperialism in the Pacific region.** London: Routledge.
- Nabhan, Gary Paul (1997). **Cultures of Habitat: On Nature, Culture, and Story.** Washington, DC: Counterpoint.
- Posey, Darrell A. (ed.) (1999). **Cultural and Spiritual Values of Biodiversity.** New York: UNEP (United Nations Environmental Programme) & Leiden: Intermediate Technologies, Leiden University).
- Skutnabb-Kangas, Tove (2000). **Linguistic genocide in education – or worldwide diversity and human rights?** Mahwah, New Jersey & London: Lawrence Erlbaum Associates.
- Wilson, Edward O. (1992). **The Diversity of Life.** Cambridge, Mass.: Belknap Press.
- Wurm, Stephen A. (ed.) (2001). **Atlas of the World's Languages in Danger of Disappearing.** Second edition. Paris: UNESCO Publishing.

يمكن الاطلاع على جميع المراجع المذكورة في هذا الكتيب على الموقع:  
(<http://www.terralingua.org>).

### معجم المصطلحات

تعلم اللغة بالإضافة: عندما يتم تعلم لغة جديدة بالإضافة إلى اللغة الأم التي يواصل استخدامها وتطويرها. فنتوسع بذلك جملة الرصيد اللغوي للشخص المعني.

التنوع البيوثقافي (أو البيولوجي الثقافي): تنوع الحياة على الأرض في شكلها الطبيعي والثقافي.

التنوع البيولوجي: كل ما يوجد في الطبيعة من تنوع في المورثات وأنواع النبات والحيوان، والنظم الإيكولوجية.

بؤر التنوع البيولوجي: بقاع جغرافية صغيرة نسبياً تتركز فيها الأنواع الحية المستوطنة بكثافة عالية.

**الحيوم:** منطقة مائية (ماء عذب أو ماء البحار) أو أرضية (صحراء، غابة، مرج، توندرا) توجد فيها مجتمعات حيوية متميزة من النباتات أو الحيوان أو غير ذلك من الكائنات الحية)

**التنوع الثقافي:** تنوع ثقافات المجتمعات البشرية وراثتها.  
**المناطق الإيكولوجية:** مناطق واسعة نسبيا من الأراضي أو المياه تتميز بوجود علاقات تشاركية خاصة بين الأنواع والمجتمعات الطبيعية والشروط البيئية.

**النظام الإيكولوجي:** هو نظام متماسك من العناصر الحية، والعناصر غير الحية ولكن النشطة بيولوجيا؛ والمفردة تشير إلى نظم أرضية ومائية متفاوتة الاتساع تتراوح بين الأحراج والغابات المدارية، وبين المروج والبراري، وبين البرك والمحيطات.

**اللغات المهددة:** لغات يتكلمها بعض الأطفال فترة من حياتهم ثم يتضاءل استعمالها.

**المستوطن:** ما لا يوجد إلا في منطقة معينة أو بلد معين.  
**اللغات المندثرة:** اللغات (غير اللغات القديمة) التي لا يتكلمها أحد.  
**نمط الموطن:** أنماط معينة من الحيوانات، مصنفة بحسب خصائصها المختلفة ( مثلا غابات مدارية مقابل الغابات الشمالية، أو المروج المدارية مقابل المروج الجبلية).

**التنوع اللغوي:** تنوع لغات المجتمعات البشرية وراثتها.  
**البلدان العظيمة التنوع:** البلدان التي يعتقد أنها تحوي أعلى نسب من رصيد الأنواع في العالم.

**اللغات الوشيكة الاندثار:** اللغات التي يتكلمها عشرات الأشخاص على الأكثر، وكلهم من الشيوخ.

**اللغات غير المهددة:** اللغات التي تنتقل بصورة سليمة إلى الأجيال اللاحقة.  
**اللغات المندثرة المحتملة:** اللغات التي توجد معلومات موثوقة عن عدد الذين لا يزالون يتكلمونها.

**اللغات المهددة المحتملة:** هي لغات يتكلمها عدد كبير من الأطفال ولكن ليس لها وضع رسمي أو مكانة هامة.

**اللغات المعرضة لخطر جدي:** اللغات التي يتكلمها عدد أكبر من الناس ولكن لا يكاد يوجد بينهم أطفال.

**تعلم اللغات بالطرح:** عندما يتم تعلم لغة جديدة (اللغة المهيمنة أو لغة الأغلبية) على حساب اللغة الأم التي تزاح من مكانها (أي لا تستخدم لجميع

الوظائف) أو تحل محلها أحياناً لغة أخرى. فلا يطرأ نمو (كبير) في الرصيد اللغوي للشخص المعني نتيجة لهذا التعلم.

**المعارف الإيكولوجية التقليدية:** هي المعرفة العميقة بأنواع النباتات والحيوانية، وبعلاقاتها المتبادلة، وبالنظم الإيكولوجية المحلية، التي تملكها المجتمعات الأصلية أو التقليدية، والتي طورتها وتناقلتها عبر الأجيال.